بسم الله الرحمن الرحيم

إن مقصود إيجاد الخليقة والغايةَ من خلق الثقلين معرفةُ الله تعالى وعبادته، ودليل المعرفة قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق] ودليل العبادة قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، فالله تعالى خلق الثقلين ليعرفوه بآياته وأسمائه وصفاته وعظمته وجلاله وكماله، وأنه الخالق المدبِّر والرّب العظيم والموجد لهذه الكائنات والمالك لجميع المخلوقات؛ فيؤمن بذلك كلِّه إقراراً وتوحيدا وإيمانـاً وإثباتا، وليعبدوه بأن تُخلَص العبادة لله وأن يُفرد وحده سبحانه بالطاعة فلا يُعبد إلا الله ولا يُصرف شيء من العبادة لأحدٍ سواه.

والعبادة التي خلق الله الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها هي اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والعبادة منها ما يكون بالقلب كالرجاء والخوف والإنابة والتوكل وغير ذلك.

ومنها ما يكون باللسان كذكر الله جلّ وعلا وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل قول سديد يحبُّه الله.

ومنها ما يكون بالجوارح من فعل للطاعات وقيام بالعبادات وتحقيقٍ للقربات التي أمر الله تبارك وتعالى عباده بها ودعاهم إلى فعلها.

وكما أن العبادة تتناول فعل المأمور فإنها كذلك تتناول ترك المحظور؛ فتركُ المحرمات ومجانبتها والبعد عنها من العبادة التي

أمر الله تبارك وتعالى عباده بها ولهذا قال ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»(١)، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٢).

*** والعبادة لا يقبلها الله من العابد إلا إذا أقامها على شرطين عظيمين وأساسين متينين؛ إخلاص للمعبود، ومتابعة للرسول** كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف].

فالله جلّ وعلا لا يقبل العبادة من العامل إذا لم تكن خالصة له، وفي الحديث القدسي يقول الله جلّ وعلا: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٣)، ولا يقبل العبادة إن لم تكن موافقة هدي النبي الكريم ونهج الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه، والعبادة التي لا تكون موافقةً هدي النبي عليه الصلاة والسلام مردودة على صاحبها غير مقبولةٍ منه، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٤)، والله تعالى يقول: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]، قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى هذه الآية: «**أخلصه وأصوبه**»، قيل يا أبا علي و ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «**إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل،**

(١): أخرجه الترمذي (رقم/ 2317)؛ وابن ماجه (رقم/ 3976) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم/ 5911).
(٢): أخرجه البخاري (رقم/ 5578)؛ ومسلم (رقم/ 57) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣): أخرجه مسلم (رقم/ 2985) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤): أخرجه البخاري (رقم/ 2697)؛ ومسلم (رقم/ 1718) واللفظ له، عن عائشة رضي الله عنها.

والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة»(٥).

* والعبادة أنواع كثيرة وصنوف عديدة جاء بيانها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأعظم العبادة شأنا وأرفعها مكانة مباني الإسلام الخمسة المبيَّنة في قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ» متفق عليه(٦).

ثم إن كل عبادة يتقرب بها العامل إلى الله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك **يجب أن تُقام على أركان قلبية ثلاثة عظيمة** وهي: حبُّ الله، ورجاءُ ثوابه، وخوفُ عقابه، فكل عبادة نأتي بها **وكل طاعة نتقرب إلى الله بها لا بد أن تكون قائمة على هذه الأركان الثلاثة؛ الحب والرجاء والخوف.**

فنحن نعبد الله حبـاً لله ورجاءً لثوابه وخوفـاً من عقابه، نصلي حبـاً لله ورجاءً لثوابه وخوفـاً من عقابه، نصوم حبـاً لله ورجاءً لثوابه وخوفـاً من عقابه، وهكذا في كل الطاعات وجميع العبادات، وقد جمعت هذه الأركان في قول الله سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء].

والعُبّاد وعُمّال الآخرة والسائرون في رضا الله تبارك وتعالى هم في حقيقة الأمر في مضمار سباق وميدان منافسة، ولهذا قال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»(٧)؛ فالعاملون للآخرة و القائمون بعبادة الله هم في حقيقة

(٥): أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (95/ 8).
(٦): أخرجه البخاري (رقم/ 8)؛ ومسلم (رقم/ 16) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٧): أخرجه مسلم (رقم/ 2676) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمر يعيشون هذه الحياة الدنيا في ميدان سباق وفي ميدان مسارعة، قال الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء] وقال جلّ وعلا: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون]، والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

ومن يعمل للآخرة مجتهداً في عبادة الله ساعياً في التقرب إلى الله بما يحبه الله ويرضاه من صالح الأعمال وسديد الأقوال فإنه يفوز بالأرباح العظيمة والمكاسب الكبيرة والنتائج المثمرة العظيمة في الدنيا والآخرة، وهذا من مِنّة الله جلّ وعلا على عباده المؤمنين وحزبه الصادقين وأوليائه المقربين، وثمار العبادة والقيام بالطّاعة كثيرة عديدة يطول عدّها ويحتاج الأمر إلى وقت كثير لسردها والله تعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

* وإن من مقامات عباد الله العظيمة في تقربهم إلى الله ومحافظتهم على طاعة الله عنايتهم الفائقة ورعايتهم الكبيرة لمنازل السائرين ومقامات العابدين، ولهذا فإن العابد لله جلّ وعلا يحتاج إلى أمور عظيمة تعينه على القيام بالعبادة وتيسر له المحافظة على الطاعة؛ ومن ذلك: **الصبر بأنواعه الثلاثة؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله.**

* **ومما يحتاج إليه العابد** حاجةً عظيمة بل حاجة مُلحّة: التوكل على الله والاستعانة بالله والاعتماد على الله في طلب مصالحه الدينية والدنيوية، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**

وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» رواه أبو داود[٨].

* وإذا كانت العبادة ثقيلة على العبد فإن أعظم ما يسهلها ويليّنها على قلبه ذكر الله تبارك وتعالى، وفي الترمذي[٩] عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**» والحديث دليل على أن من فوائد الذِّكر العظيمة وآثاره العميمة أنه يسهِّل الطاعة ويعين على القيام بالعبادة ويذلِّلها للعبد تذليلاً بإذن الله جلّ وعلا.

* **ومن مقامات العابدين العظيمة: شكر الله على نعمه وحمده على عطاياه ومننه، وأعظم مِنن الله علينا توفيقه لنا في الدّخول في هذا الدين وأن كنا من أهل الصلاة والصيام؛ فهذه نعمة عظيمة ومنّة جسيمة**، والمؤمن شاكرٌ لنعمة الله حامدٌ لله جلّ وعلا على نعمه وعطاياه والشكر مُؤذن بالمزيد، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

اللهم أوزعنا شكر نعمك، ووفقنا لاستعمال نعمك في طاعتك وما يقرب إليك، وجنِّبنا إلهنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء إنك سميع الدعاء وأنت أهل الرجاء وأنت وليُّنا ونعم الوكيل.

www.al-badr.net

(٨): (رقم/ ١٥٢٢)، وصحح إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (رقم/ ١٣٦٢)..
(٩): (رقم/ ٣٣٧٥)، وأخرجه ابن ماجه (رقم/ ٣٧٩٣) عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم/ ٧٧٠٠).

عبادة الله

والأمور التي تعين على تحقيقها

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة
شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية